

مديحُ الرَّسَمَادِ



(1) ضوءٌ ثقيلٌ يندلقُ كاللَّيْلِ خانقًا طيفه في سدولِ شدوهِ الدَّافئِ أعراسًا من
جمرةِ شَطَايا الخيبةِ برؤيا العتمِ أَسَدَلِ وخزِ القشرةِ وسرَّحِ أَخيلتي الرَّسَمَاءِ
بالأَسودِ الشَّفافِ منْ ظمأٍ يَرمي رَبعي في قبورِ الأَثِيرِ بتراتيلِ قرمزِيَّةٍ . (2)
هَذَا السَّحْرُ المَرْتَابُ منْ جليدِ الصَّمْتِ يشحُّ جراحِ الخلوِ وقبورِ الماءِ منْ
أَرَقَةِ الأَوْرَاقِ حفيفًا عنْ آخِرِهِ لِكُلِّ العَابِرِينَ أَوِ الغُرَبَاءِ فِي الهَمْسِ نَسِيمًا
لِيلِمِ حوريَّةَ كَفَّي منِ الصَّيَاحِ إِلَى التَّشْرِيدِ الَّذِي يرقُبنا سباتًا . .
سباتًا بنسيمِ الهوائِ الَّذِي يخلخلُ العلامَةَ والأُفُقَ فِي أَحْشَاءِ الحِجَارَةِ كُلِّ نَزيفِ
واحتراقِ يَعودُ أَصِيلًا للأَشْيَاءِ البَالِيَةِ فَأَصِيرُ فِي صَدَائِي مَسَامٍ هَتَكِي المَخْمُورِ منْ
رَمَالِ إِلَى جِئِمِ مِثْلِ الدُّجَى المَتَرَنِّجِ فِي القَوَامِ المَشْرُودِ فِي الرِّيحِ كِ
الرَّسَمَادِ (3) مَا بَيْنَ العَتَمَةِ والصَّوَاءِ يَطْلُ خَريفُهُ وشاحًا مرصَّعًا بالغربةِ
والمرارةِ يَنْبِذُ غَسْفًا بِرُوحِي نَبِيذُ المَارَّةِ بِأَصْقَاعِ الصَّوْتِ السَّرْمَدِيِّ فِي
البهَاءِ وَفِي الجِدَارِ المَائِلِ فِي الخفَاءِ تُولدُ الجَمْرَةُ منْ نَقْطَةِ المَاءِ بِالثَّجْبِ

الخصبِ على تخومِ الذِّهنيةِ لغواً مسرحياً سلاسلَ من الوقتِ تنتظرُ كالغابةِ أـ قفاصُ
الأـجنحةِ . (4) المشهدُ القائمُ المنهلُ بالعتبةِ نشوةُ الفقراءِ حذاهُ تشعُّ خيوطاً
إلى نطاقهِ الزَّائغِ . . شاحبُ في تيههِ في وجهِ الهواءِ رنيناً يسقطُ الصَّقيعُ
فوهةً كالذَّلجِ تجرُّ معها صدرُ الذَّمْلِ أو تبيدُ . . تجيءُ من الفراغِ
وأُ نشودُها الخاسرةُ تقتلعُ العطشَ بالوقتِ من مهبِّ الرُّدهاتِ وكلُّ خلوةٍ تهرمُ
بعمقِ الصَّوتِ في نواحِ الصَّوِّءِ أـ سجا فآ وارفهً بأروقتها الوهَّاجةِ . (5)
الفقراءُ القَتلى الذين مرُّوا بالحبْلِ على طينٍ وعتابةٍ يحملونُ المدارَ البعيدَ
في همسةِ الفخاخِ نحوَ رصاصِ فاتحٍ ينتظرُ الهاويةَ في لوعةِ الخسارةِ فطويتُ البابَ
قليلاً من حدِّةِ الدُّوارِ أو الذُّزولِ رغيلاً زهراً لأـ تقمَّصَ الظلَّ ولادةً طاعنةً
(6) الأصدافُ الشَّاحبةُ ذاتُ الحمَّى اللِّيلكيةِ رخامُ الرِّيحِ بجحيمِ الصَّاعقةِ
تأبَّطتُ وجهه المخبترُ أسلحة ناصية في صورةِ نَفسي خلجان دمانه بعدَ الزَّيفِ الأوَّالِ
بالخطوِ المبرحِ تحتَ الرِّحيقِ المسفوحِ زمرةِ الصَّخرِ المستبدِ وأمضي محوًّا بالحرقةِ
بين الكائناتِ الذِّتاريَّةِ حتَّى أـ قبرَ الأـشياءِ رمادًا لا ماءً . . (7) كلُّ
الأـنفاسِ الخاملةِ بحطامه تطلقُ الرِّصاصَ بالرَّمادِ في أـ بهه الجراحِ ما بينَ
الحكايا والحكايا بعيونِ العبورِ يورقُ الأـنين بنورِ الرِّشقِ وصخبِ الدَّمارِ
وصقيعِ خمرةِ حتَّى يغزلَ سديمَ الدَّمِ نُجيمتي ويكشفُ اللَّيْلُ عن فـجيعتي في
استدارةِ مجهولةٍ وقبوةٍ منفوخٍ تفرشُ الحقائقُ غيمةً بصلاطي أـ مومةَ المارِّينَ بعيدًا
عن شطايا الخريفِ هكذا أـ نبذُ القادمينَ في اللِّغوى في العراءِ . (8) سُنونو
يرتجفُ صخبًا من حدِّةِ الموتِ تروي الملائكةُ ظللاً ويغزلُ الوجعُ سهادًا أـ سودَ في
مقبرةِ الجرذانِ وفي المناديلِ المجففةِ بالرعبِ رنينًا كالقداحةِ يرنو في الهتكِ
الأوَّالِ بريحِ بـسملتي . . (9) شعبيًا من الفوضى يتكاثرُ أـ كفا زًا . . أـ كفا زًا إذ
ينفجرُ كالقتلِ تحتَ دمعِ المسافاتِ على مرِّ الحالاتِ الميكانيكيَّةِ من صمتٍ إلى
صمتٍ تبوحُ الأـعضاءُ بهزيعها: إنَّنا نركبُ الأخطاءَ فخاخُ الغبارِ كالموجِ خوفُ لا
يبيدُ السكينةَ من الخديعةِ يقتلُ الكلامُ نزفًا بيننا بقايا الحصارِ الحابلِ مثلِ
الفراقِ . . (10) هي في الفقدِ شمعةُ في اصفرارِ الأـسودِ بخريفِ الرَّمْلِ وصحوةِ
العتمةِ على أـ طيفِ الأـجسادِ المطرِّزةِ بالمغيبِ والغبارِ من حدِّةِ الإِشراقِ . .
(11) العزلةُ جسمُ نابضُ بالموتِ والوقتِ والدَّمارِ ينفخُ أـ جنحتَه كالأـفلاكِ وعابرُ
التَّراتيلِ كوخزِ النِّتارِ المشرعِ بصفاءِ الضَّبابِ الغاضبِ رصاصًا سرمديةً كفضنوه
بالضَّبابِ تحتَ بهاءِ الطُّوفانِ ومتاهاتِ الانكسارِ . . (12) يـا هالكًا في الرِّغبةِ
يـا حالمًا بالسَّطوِ يـا مرتجلًا في المحنِ هلْ يشقُّ الحضيضُ زرقتهُ حدسًا للعفنِ؟

(13) وَحَدَّهَا الرِّيحُ تَجِيءُ مِنْ اللَّيْلِ لَا عَقَابُ الْوَقْتِ لِيَكُونَ الْمَوْتُ رَجْفَةً
وَلتكونَ المقابرُ دمًا يعطشُ الفقراءُ بينَ الرِّيحِ والنَّهارِ.